المهاجرين السوافة بتونس العاصمة أوضاعهم المعيشية وأماكن استقرارهم خلال 1912–1962م من خلال الروايات الشفوية

أ/ عبد القادر عزام عوادي

جامعة الشهيد حمه الأخضر / الوادي

الملخص:

تعد هجرة سكان وادي سوف إلى تونس من الهجرات التاريخية القديمة بحكم القرب الجغرافي لإقليم وادي سوف إلى تونس، وخلال الدخول الفرنسي إلى الجزائر بدأت الهجرة الجزائرية بصفة عامة تتزايد بحكم الظلم والتسلط الاستعماري، وكانت منطقة وادي سوف احد تلك المناطق التي عرفت حركة الهجرة وكانت تونس هي الملاذ الآمن الذي فر اليه سكان وادي سوف، وهو ما سنعرفه في هذه الورقة البحثية التي سوف نتحدث فيها على أهم الأماكن التي استقر فيها هؤلاء المهاجرين؟، وكيف كانت اوضاعهم في تلك الفترة؟ وأهم الأنشطة التي زاولوها لكسب قوتهم وقوت عيالهم؟ وهو ما سنجيب عنه من خلال اتباعنا للمنهج الوصفي والتحليلي لمحاولة الوصول إلى نتائج عن حياة هؤلاء المهاجرين ودورهم في تلك الفترة المهمة من التاريخ الحديث والمعاصر بين البلدين الشقيقين.

Résumé

La migration de la population de oued souf en Tunisie est des vieilles migrations historiques par proximité géographique du territoire de oued souf et la Tunisie Dés la colonisation française ; la migration a augmenté en général à cause de l'injustice et l'oppression coloniales .

La région du souf est l'une des régions qui ont connu un mouvement de migration vers la tunisie car elle était leur Zone de sécurité . C'est ce que nous allons voir dans ce papier de recherché ou nous parlerons des endroits les plus importants de ces immigrants et comment étaient leurs conditions pendant cette période ?

Et les plus importantes activités qu ils ont exercé pour gagner de quoi vivre avec leurs enfants

C'est ce que nous répondrons par l Approche descriptive et analytique Pour tenter d'accéder aux résultats sur la vie de ces immigrants et leur rôle dans cette periode de l'histoire moderne et contemporaine entre les deux pays frères.

المقدمة:

منذ ان وطأ الاستعمار الفرنسي ارض الجزائر في 5 جويلية 1830، بدأ في سياسته التوسعية ومحاولة الوصول إلى كل المناطق، فكان وصوله إلى وادي سوف في سنة 1852 وتم له الاستقرار النهائي في سنة 1884م، وبدأ في سياساته التعسفية تجاه السكان وطبق عليهم الحكم العسكري، وهذا ما جعل العديد من السكان يفكرون في الهجرة هروبا من هذا الاحتلال الغاشم أو من اجل كسب لقمة العيش التي منعهم الاستعمار منها بعد ان وضع يده على كل الاراضي الزراعية الخصبة وفرض الضرائب عليها، فكانت الوجهة الاقرب لهم هي تونس، وهكذا لجأ السوافة إلى تونس واستقروا بها ولو بشكل مؤقت من اجل العمل

وكسب الرزق هناك، وتعد الدراسات في مجالات الهجرة مهمة نظرا لتعدد الجوانب التي تحملها هاته الظاهرة سواء الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي كما سنعرف من خلال هذا البحث، ولعل من اهم الاسباب لاختياري هذا الموضوع هو اني احد ابناء هاته المنطقة، وايضا ندرة الدراسات التاريخية حول المنطقة بشكل عام وخاصة موضوع الهجرة، ولذا اخترت هاته الاشكالية : ماهي اهم المناطق التي لجأ اليها المهاجرون السوافة بتونس العاصمة، وكيف كان اوضاعهم بتونس العاصمة في تلك الحقبة؟، وهو ما سنجيب عليه من خلال اتباعنا للمنهجين الوصفي والتحليلي في المجال التاريخي، من خلال خطة منهجية ملخصة في خمسة نقاط رئيسية وهي: اولا: اماكن استقرار المهاجرين السوافة بتونس العاصمة، ثانيا: أوضاع المهاجرين السوافة بتونس العاصمة، ثالثا: العلاقات الاجتماعية والتضامنية للمهاجرين، رابعا: اوضاع الطلبة السوافة بجامع الزيتونة، خامسا: المهاجرين السوافة بالجبل الاحمر.

أولا: أماكن استقرار المهاجرين بتونس العاصمة.

منذ هجرة السوافة1 إلى مدينة تونس استقروا في اماكن معينة ولم يبتعدوا عن بعضهم كثيرا كما قاموا في الجنوب التونسي، وتجمعوا كعادتهم على حسب المنطقة الوافدين منها.

ولقد كانت الهجرة السوفية الي تونس العاصمة تكون بشكل عام مستمرة لمدة سته اشهر في تونس والباقية فيها يرجعون إلى وادي سوف، وهناك من تستمر اقامته لمدة اطول تصل إلى سنتين أو إلى ثلاث سنوات[2].

وكانت الهجرة اليها في شكل جماعات متكونة من عشرة افراد أو اكثر، وتكون الاعمار في سن اربعين تقريبا فما فوق[3].

ولقد كان هؤلاء المهاجرين ينقسمون إلى قسمين رئيسيين وهما القادمين من اجل البحث على العمل أو القادمين من اجل طلب العلم والدراسة في جامع الزيتونة المعمور.

وهنا يجب أن نميز بين أمرين مهمين أيضا وهو الفئة العازبة . الغير المتزوجون . والفئة المتزوجة . العائلات .، لأن طريقة استقرارهم واماكنهم ليس كالفئة الاولى.

ولقد كانت الفئة الاولى هي الغالبة سواء في جانب العمل أو الطلبة الذين كان جلهم غير متزوجون، ولقد تواجد هؤلاء في اماكن متعددة وهي:

أ. الوكالات:

وهي مساكن دائمة للجزائريين القادمين من الجنوب خاصة السوافة، وتكون الوكالة للطبقة الفقيرة عادة والقادمين الجدد إلى تونس العاصمة[4]، ولقد كانت تسمى أيضا " بدار السوفي"، ويكون القاطنون بها ينتمون إلى نفس العشيرة والى نفس الطريقة الصوفية أيضا، فنجد ان ناس قمار يسكنون 46 شارع زاوية بوكرية، وناس كوينين طريق حمام الرميمي، وناس ورماس 6 طريق صاحب الطابة[5]، وغالبا ما تكون أحوال هاته الوكالات في حالة من البؤس، ويتجمع في كل غرفة من غرف الوكالة حوالي خمسة أو ستة اشخاص ولقد كانوا يستغلون أحد الأماكن بالوكالة تكون عبارة عن مطبخ[6].

ونجد ان الطلبة الزيتونيين سكنوا هاته الوكالات لاحتياجهم للكراء في السنة الاولى من تعليمهم هناك[7]، فنجد على سبيل المثال أن الطالب الطاهر التليلي والأزعر القماري، وعبد القادر الياجوري اكتروا في وكالة سوق اللفة رقم 2126 وهي معروفة بوكالة الجريدية أو وكالة بن عرفة[8].

اما عن الشكل الثاني من مناطق استقرار السوافة فنجد

ب . المقاهي:

وتعتبر المقاهي من بين أهم الأماكن المفضلة للمهاجرين، حيث يجد المهاجر نفسه منضما إلى جماعته ويلعبون لعبة الورق، ويتبادلون أطرف الحديث المتنوعة، وكانت أيضا اماكن ارسال واستقبال الرسائل من طرف الأهل والأصدقاء، وكانت أيضا المقاهي من أهم المناطق لبعض الافراد الذين لا يملكون وثائق ثبوت الهوية[9]،

وقد كانت هاته المقاهي موجودة في التجمعات السكانية، فنجد على سبيل المثال مقاهي السوافة في الاماكن التالية: 104 شارع الحجامين، 107 باب سعدون، 40 الزاوية البكرية[10]، وشارع سيدي البشير وشارع الباب الجديد[11].

ج . الزاوية البكرية:

ولم تكن الزاوية البكرية زاوية دينية وفقط، بل كانت تتعدى ذلك بحيث كانت عبارة عن ملجأ خيري للمهاجرين، حيث أن العديد من السوافة العمال والطلبة سكنوا بهاته الزاوية[12]، وكانت الزاوية تحتوي على العديد من الغرف التي سكنها مجموعات من المهاجرين الذين يتقاسمون فيما بينهم كل المهام داخل غرفهم[13].

أما عن الأسر فلقد كانت تكتري منازل أو محلات من أجل السكن فيها[14]، ويوجد من المهاجرين من انتقل إلى ضواحي المدينة واستغلوا المناطق التي مازالت غير آهلة بالسكان واشتروا الأراضي وبنوا بها منازلهم البسيطة، كما حصل ذلك بمنطقة الجبل الأحمر وجبل جلود اللذين يقعان في ضواحي العاصمة التونسية[15].

وهكذا توزع مهاجرو وادي سوف على مدينة تونس، فسكنوا في مناطق متعددة ولكن كانوا قريبين جدا من بعضهم البعض حتى إننا نجدهم شكلوا أحياء خاصة بهم تسمى بـ:" حومة السوافة"، هاته الأحياء التي كانت منتشرة في العديد من المناطق بالعاصمة التونسية.

ثانيا: أوضاع المهاجرين السوافة بتونس العاصمة

لقد توجه السوافة إلى مدينة تونس بأعداد كبيرة، وكانت مدينة تونس عي الأكثر حضورا للمهاجرين السوافة، سواء كانوا فرادى أو عائلات وتجمعوا فيها كما ذكرنا

آنفا على حسب المنطقة التي وفدوا منها[16]، ولقد كانت حالتهم الاجتماعية في وادي سوف جد مزرية، فدفع بهم هذا الأمر إلى التوجه نحو تونس من أجل تحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي.[17]

1. التنظيم الاداري:

ومن أجل محاولة تنظيمهم إداريا مع الادارة الفرنسية بتونس فلقد كان هناك ممثل للمهاجرين السوافة لدى الإدارة الفرنسية ويسمى "شيخ السوافة"[18]، ولقد كان شيخ السوافة يعين بقرار من الادارة الفرنسية وهو في الغالب مكلف بجمع الضرائب وهي ستون فرنكا تدفع إجباريا لكل مهاجر يتراوح عمره بين 60/18 سنة، ويقوم أيضا بتسجيل الشباب المؤهل للخدمة العسكرية، ويمنح الأفراد جميع الوثائق التي يحتاجونها[19]، ولقد تقلد هذا المنصب عدة أشخاص نذكر منهم: محمد بن الحاج احمد الفاسي مع نهاية القرن التاسع عشر، ثم عين علي بن سلطان بدلا منه ليأتي بعده محمد الاخضر بن الحاج العيد بن محمد ، ليأتي خلفه سي محمد القادري بن الحاج سالم في 10 جانفي 1938م[20]، إلى سنة 1952م[21].

2. نشاطاتهم بمدينة تونس:

أما عن الاعمال التي مارسها السوافة بمدينة تونس العاصمة فهي كثيرة ومتعددة وذلك راجع إلى أن السوفي لا يهاجر الا اذا كان متأكدا من وجود العمل وذلك بعد الضمانات التي يتلقاها من طرف من سبقه من رفاقه[22].

و أمتهن السوافة في كل الأشغال ومن هاته الأشغال نجد مهنة:

2. 1. القرباجية:

أو حامل الماء وكان صاحب هاته المهنة يحمل الماء في القرب ويملؤها من الحنفيات العمومية، ثم يقوم بتوصيلها إلى البيوت بثمن خمسة فرنكات[23]. ونجد أن التونسيين متساهلون مع هؤلاء القرباجية من السوافة وذلك لشهرة مرض العينين لديهم، فكان توصيل الماء إلى البيت لا يسبب لهم إحراج نظرا لقصر نضرهم.[24]

2. 2. عمال الميناء:

كما نجدا أيضا من بين الأعمال العمل في الميناء، ولقد اشتغل السوافة في "البور"[25] كثيرا وذلك راجع إلى قوة أجسادهم وتحملهم الكبير، حتى أن المسؤولين على هذا العمل كانوا دائما يختارون السوافة لقوتهم البدنية ولإخلاصهم في العمل[26]، ورغم أجورهم المتدنية التي كانوا يتقاضونها جراء أعمالهم الشاقة فإنهم لم يتركوا العمل نظرا لحاجتهم الشديدة له.[27]

2. 3. العمل في البلدية:

ولقد اشتغل السوافة كثيرا كعمال في البلدية ولقد كان من أبرز الأشغال التي يقومون بها هي تنظيف المجاري، وأعمال التنظيف في الطرقات والساحات العمومية وغيرها[28]، ولقد كانوا عمالا يوميين ويكون نصيب من يستمر في العمل أن يرسم بصفة نهائية في العمل ولقد كانت أجرتهم تقدر بحوالي 1500ملم[29].

2. 4. الاشغال المختلفة:

وكما ذكرنا فإن السوافة لم يتركوا شغلا رءوا فيه أنه يدخل لهم بعض الفرنكات إلا واشتغلوه، ولذلك نجد أنهم امتهنوا حتى المهن البسيطة كماسحي الأحذية وباعة جوالة[30]، وبائعي الفحم وحمالين يقومون بحمل البضائع وإيصالها[31].[32]

كما إنه يوجد بعض السوافة الميسورين والذين كانوا يمتلكون المحلات والمقاهي بتونس العاصمة، ويوجد من السوافة من كان يكتري محله للأجانب ويشتغل هو شغلا ليكون له دخلا إضافيا[33]، ونجد القليل ممن يمارسون تجارة التمور والقماش والحرير وهم حوالي اربعين شخصا من سكان تغزوت و كوينين[34].

وكما كان السوافة يتجمعون في المناطق على حسب الانتماء، فان التخصص في العمل كان أيضا على حسب الانتماء للمنطقة، فنجد مثلا مهاجري الدبيلة عمال في الميناء، و مهاجري تغزوت حاملي أمتعه غالبا ومهاجري قمار عمالا في المصانع[35].

ولقد كان الطلبة الزيتونيون من السوافة يمتهنون أيضا أشغال من أجل تغطية مصاريفهم في بلاد الهجرة، ولذلك نجد أغلب أعمالهم تكون ليلية كالعمل في المخابز "كواشة" أو العمل في مجال الحراسة الليلية[36].

وكان للمرأة السوفية الدور الكبير في الجانب الاقتصادي للبيت وكانت هي تقريبا المتصرفة في الأمور المالية للأسرة، وكانت شديدة الحرص في صرف الأموال ودائما

كانت تقوم بادخار بعض المال وذلك لتفكيرها الدائم في العودة إلى أرض الوطن[37]، ولم تكن تسير الجانب المالي وفقط بل كانت تقوم ببعض الأعمال و الحرف في بيتها كالنسيج والغزل "القشابية" و " الصوف" وغيرها من بعض المهن المنزلية، التي تقوم ببيعها لتساعد زوجها على مصاريف البيت.[38]

3. العلاقات الاجتماعية والتضامنية للمهاجرين:

وأما عن العلاقات الاجتماعية التي تربط السوافة مع بعضهم البعض في مدينة تونس، فلقد كانت العلاقة فيما بينهم أخوية نظرا لأنهم يعيشون جميعا نفس الظروف المزرية[39]، ولقد كان من أهم الروابط التي تجمع السوافة هي الطريقة الصوفية التي ينتمون إليها، حيث نجد أن أتباع الطريقة التيجانية يلتقون دوما في مناسبات متعددة، وكانت العلاقة بين النساء و اللقاءات بينهن أكثر من الرجال حيث أن الرجال كانوا يقضون جل أوقاتهم في العمل فتكون اللقاءات قليلة[40].

ويظهر أيضا العمل التضامني بين المهاجرين في الجمعيات التي أسست في تلك الفترة مثل: الجمعية الخيرية الاسلامية للأهالي الجزائريين والتي اعتمدت منذ 15 افريل 1913م، وقامت بإنشاء ملجأ للأيتام كان به أطفال سوافة، كما انشئت جمعية خيرية أخرى في سنة 1948م، لمساعدة الذين يريدون العودة إلى أرض الوطن، والتكفل بإطعام الفقراء، وايضا بالموتى البؤساء من سكان سوف الغرباء[41].

ولقد كان العديد من السوافة لا يحبون الاختلاط مع التوانسة و الاندماج معهم وذلك راجع لسبب أنهم يرون أن المجتمع التونسي ذو طابع متفتح وكان

أهل منطقة وادي سوف مجتمعا محافظا، وكانت المرأة السوفية لا تخرج كثيرا الا للحاجة، واذا خرجت فإنها تلبس الحايك وتغطي كامل جسدها[42].

ولعلاقتهم الكبرى بأرضهم وبلادهم وادي سوف، فإن المهاجرين العزاب كانوا يرجعون إلى موطنهم من أجل الزواج من بنات منطقتهم وهذا لا ينفي وجود شباب آخر شكل الاستثناء لدى السوافة وتزوجوا ببنات تونسيات[43].

وحتى عند اقتراب موعد ازدياد مولود لدى المهاجر السوفي فانه كان يقوم بإرسال زوجته إلى اهله بسوف من أجل ان تلد هناك في سوف وذلك كله راجع إلى الارتباط الشديد بأرضه.

4. اوضاع الطلبة السوافة بجامع الزيتونة:

لقد كان الطلبة الزيتونيون على قدر كبير من الوعي، ونظرا لكثرتهم العددية سواء على الجانب الوطني أي الطلبة الزيتونيين الجزائريين عامة الذي قدر عددهم سنة 1947م بـ: 700 طالب كلهم يدرسون بجامع الزيتونة، وكان لابد لهذا العدد الهائل من رابطة تجمعهم، فكانت جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين[44]، ولقد شكل الطلبة السوافة نسبة معتبرة من اجمالي الطلبة الجزائريين، وهذا ما سمح لهم بإنشاء جمعية خاصة بهم[45]، وكان اسمها "جمعية الشباب السوفي الزيتوني" ولقد اسست في سنة 1937م من طلبة زيتونيين من سوف[47]. ولقد كان مقر هاته الجمعية متواجدا بـ " باب منارة" حيث كان هناك ملتقى الطلبة والنادي الخاص، ولقد كان من أبرز مهام هاته الجمعية :

. تنشيط الطلبة ثقافيا و توجيههم تربويا وأخلاقيا.

. المحافظة على الآداب وعلى العمل من أجل كسب المعرفة والحفاظ على الدراسة[48].

. إعانة الطلبة المحتاجين عند اللزوم.

ولقد كانت الجمعية ترفض كل الاعمال ذات الطابع السياسي، وكان أعضاءها يدفعون اشتراكا سنويا قدره 24 فرنكا في السنة[48].

وكان الطلبة السوافة بجامع الزيتونة من ناحية الاقامة فإنهم في أول الامر يسكنون في الوكالات مع اصدقائهم أو اقاربهم[49]، وأثناء مزاولة دراستهم يقومون بتقديم طلب للحصول على السكن من طرف إدارة جامع الزيتونة من أجل أن يستفيدوا من الاقامة[50]، ولقد كانت جبهة التحرير تقوم بتمويل ومساعدة الطلبة في كل ما يحتاجونه من مسكن أو ملبس وأدوات ضرورية لهم[51].

ولأن السوافة كانوا منتشرين في تونس العاصمة وضواحيها، وكانت لهم نفس الاوضاع تقريبا وظروفهم الحياتية متشابهة، لذلك أردنا أن نأخذ نموذجا عن منطقة الجبل الأحمر بتونس العاصمة أين كان يتواجد به عدد معتبر من المهاجرين السوافة.

5. المهاجرين السوافة بالجبل الأحمر:

5. أ. نبذة عن منطقة الجبل الأحمر:

هو حي من أحياء العاصمة التونسية يقع بالتحديد في الشمال الشرقي بالنسبة لمركز العاصمة، ويبعد حوالي 14 كم عنها.

يحده من الجنوب حي العمران ومن الغرب حي الزياتين ومن الشرق حديقة بلفدير ويقع في شماله سد واد علجية[52].

وهو ليس بالجبل الكبير وإنما عبارة عن هضبة كان قديما مغطى بالأشجار والنباتات وأما الآن فهو حي عمراني يغلب عليه الطابع الشعبي في بنائه فهو عبارة عن حي القصبة في الجزائر العاصمة[53].

أما بالنسبة لتسمية هذا المكان بهذا الاسم فهناك روايات متعددة عن سبب التسمية منها:

- انه كان بالقرب من هذا الجبل مصنع للآجر لأحد المستثمرين الإيطاليين وكان السكان يبنون من هذا الآجر الأحمر فسمي المكان نسبة إلى هذا اللون من الآجر[54].

- و في رواية أخرى تقول أن سبب التسمية نسبة إلى لون التراب الذي كان يغطي الجبل حيث كان ذوا لون احمر فنسب إلى ذلك[55].

- و منهم من يقول أن مصنع الآجر كان يطلق غبارا كثيفا ذو لون احمر وكان يغطي الجبل بهذا اللون فسمي نسبة إلى الغبار المنبعث من المصنع.

- وقيل أيضا لأنه كان يستخرج منه التراب الأحمر الذي يستعمل في البناء و كان عبارة عن "مقطع" لهذا التراب ولقد كانت المساحة الخالية من الأشجار و الصخور تستغل لبناء السكن[56].

5. ب . استقرار السوافة بمنطقة الجبل الاحمر:

ولقد كان الجبل خاليا من السكان تقريبا سوى من بعض السكنات القليلة لبعض السكان التونسيين ومنذ سنة 1947م بدا السكان الجزائريين المهاجرين يتوافدون إلى هذا المكان وكان من ابرزهم سكان وادي سوف الذين جاؤوا بكثرة إلى هذه المنطقة[57]، وكانوا يقومون بإكتراء الأرض من عند الملاك التونسيين ثم يبنون بيوتهم بأنفسهم ولقد كانت الارض التي بنيت عليها أغلبية المساكن السوفية تسمى "ارض جعيط"[58]، وكانت بداية التوافد إلى الجبل الاحمر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (1939-1945) حيث نزح السكان من العاصمة إلى هذه الضواحي من مدينة تونس[59]، ولقد كان التوافد الكبير من طرف السوافة إلى المنطقة منذ بداية الخمسينيات[60]، ولقد عمر الجبل الأحمر بالسكان قبل الحي الذي بجانبه والمعروف أيضا وهو حي الكومبطا[61]، الذي احتوى على العديد من السوافة وتم فيه أيضا إقامة مقر الكشافة الإسلامية هناك في المرحلة الأخيرة[62]، و كما ذكرنا سابقا هناك جهة تسمى بحومة السوافة أو "الوطية"[63] كما يسمونها وهي المنطقة التي تحتوي على الأغلبية من السكان السوافة، ويوجد بها مسجد السوافة الذي انشأ سنة 1945م، على يد السكان القاطنين هناك وتعاون فيه جميع السكان كل على قدر مجهوده فمنهم بالمال ومنهم بالجهد وهو يسمى الآن مسجد السلام[64].

ومن خلال سنة تشييد المسجد يظهر هناك اختلافا في السنة التي قدم بها السوافة إلى المنطقة فمن خلال أقوال السكان يتبين أنهم سكنوا في حوالي بداية سنة 1947م والمسجد شيد في 1945م، فمن خلال سنة تشييد المسجد يظهر أن النواة الأولى للسكان بهذه المنطقة كانت في 1945م بحيث ان أول شيء

يقوم به الفرد عند اقامته في مكان معين بناء المسجد أين يؤدي فيه صلاته ويتعلم فيه أبناؤه.

5. ج . أوضاع السوافة بمنطقة الجبل الاحمر:

لقد كان المهاجرين السوافة بمنطقة الجبل الأحمر يعيشون نفس الأوضاع التي كان يعيشها باقي المهاجرين في المناطق الاخرى، فلقد كانت أوضاعهم المادية متدنية وذلك نظرا أن جل سكان هاته المنطقة يزاول عمالها نشاط العمل في البلدية[65]، ولقد بلغ تعداد العائلات السوفية بالجبل الأحمر حوالي 150 عائلة، حتى أنه يوجد بعض المنازل يقطن بها أكثر من عائلة[66]، وتقريبا تعود أصول أغلب هؤلاء المهاجرين من منطقة قمار وبعضهم من تغزوت و المصاعبة[67].

وكانت هاته العائلات تعيش حياة بسيطة في كل أمورها، فالرجل يقوم بالعمل من أجل كسب الرزق وسد حاجات الأسرة، وكانت المرأة هي التي تسير الانفاق المالي بشكل عام لكل الأسرة[68]، وكانوا يقومون بإدخال أبنائهم إلى المدارس التونسية المتواجدة هناك، ولقد كانت الدراسة مجانية بالإضافة إلى الإعانات التي كان يتلقاها التلاميذ السوافة من ألبسة وأكل، ولم يكن هناك فرق بين التلاميذ السوافة والتونسيين[69].

ويحكي أحد المهاجرين السوافة عن طفولته بالجبل الأحمر فيذكر:" لقد كنا نزاول تعليمنا في المدرسة الابتدائية التي كانت بالقرب من "حومتنا" وهي مدرسة الغزواني الابتدائية، وأما عن باقي الأطوار الأخرى فلقد كانت في تونس العاصمة، وكنا في كل مساء بعد نهاية نشاطنا الدراسي يتجمع الأطفال ونلعب كرة القدم والتي كانت مصنوعة من القماش وأيضا من أبرز الألعاب التي كنا نلعبها "الزربوط"،

وكنا مولعين جدا بكرة القدم فنذهب إلى الملاعب ولكن للحالة الاقتصادية التي كنا نعيشها لا نستطيع دخول الملعب ونقوم بانتظار اللاعبين أثناء دخولهم فندخل معهم.

وكنا نتجول في المدينة ونقوم بجمع الطوابع البريدية ونقصد دائما نفايات التي تخرجها السفارات الموجودة بالمدينة، ونذهب لبيعها للمكاتب، وأيضا نقوم بجمع النحاس الذي كنا نبيعه لأصحاب الخردوات، ونقبل جميع الأسعار التي تعرض علينا"[70].

هكذا كان أطفال المنطقة يقضون أوقاتهم، وعند تأسيس الكشافة الإسلامية بمنطقة الجبل الأحمر انضم اليها جل الشباب والأطفال من كلا الجنسين[71].

وعند تأسيس خلايا جبهة التحرير الوطني بتونس العاصمة، قامت هناك خلية بمنطقة الجبل الأحمر وكانت هاته الخلية تسهر على مساعدة السكان السوافة واعانتهم ماديا ومعنويا، وتقدم المساعدات للأسر الفقيرة والمحتاجة بصفة مستمرة[72].

ونلاحظ أن الخلايا كان لها الدور الكبير في إقامة التنظيم بين المهاجرين، حيث قامت بتسجيلهم جميعا وتسجيل حالاتهم الاجتماعية والمادية وغيرها من الأمور الأخرى التي تخصهم.

خاتمة:

بعد الدراسة السابقة، لظاهرة الهجرة السوفية نحو تونس، وبالأخص نحو العاصمة التونسية، نستخلص عدة نتائج من أهمها:

. لقد تجمع السوافة في أماكن محددة، وكانت كل قبيلة أو منطقة لها مكان خاص، ولها أيضا أعمال ومهن معروفون بها، كأهل المصاعبة والأعشاش الذين ارتكزت هجرتهم نحو الجنوب التونسي، أما أولاد سعود فكانت هجرتهم مركزة نحو الشمال.

. لقد إمتهن السوافة في تونس عدة أعمال ونشاطات مختلفة وكانوا يدا عاملة مطلوبة خاصة أنهم كانوا عمالا مخلصين في العمل ويعملون جل الأعمال المتوفرة.

. نظرا للتجمعات السكانية التي كان يختارها السوافة مع بعضهم البعض، كانت هناك أحياء تسمى بإسمهم مثل "حي السوافة".

. لقد كانت الوضعية الاقتصادية والمعيشية التي كان يعيشها المهاجر السوفي بتونس، لا تختلف كثيرا عن وضعه في وادي سوف، ولكن الحرية التي كان يتمتع بها في تونس جعلته يرضى بالوضع هناك.

الهوامش:

1- السوافة هم سكان وادي سوف وهي بلدة تقع في الجنوب الشرقي الجزائري على الحدود التونسية وقريبة جدا مع حدود غدامس الليبية، وهي الآن الولاية رقم 39 بالجزائر.

2- Jamel Hagui les algériens originaires du sud dans la ville de Tunis pendant l'époque colonial (1881- 1956) (mozabites, souafas, ouarglias), mémoire DEA, université de manouba, année universitaire 2003-2004., p 21.

3- Marty les algériens à Tunis", revue I.B.L.A, N43 et N44, Tunis, 11éme année, 3éme et 4éme trimestre 1948 .: op, cit, p p 315-316.

4- Jamel hagui: op. cit, p 44.

5- عثمان زقب: الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، اشراف: يوسف مناصرية، السنة الجامعية 2005-2006.، ص 203.

6- Marty: op,cit, p 317

7- لقاء شفوي مع احمد بن الطاهر منصوري، يوم السبت 25فيفري 2012م، ببيته بالزقم.

8- الطاهر التليلي: **هذه حياتي**، مخطوط، ص 15.

9- Jamel hogui: op,cit, p46.

10- Marty: op,cit, p 317.

11- Jamel hogui: op,cit, p46.

12- لقاء شفوي مع محمد علي بورحومة.

13- لقاء شفوي مع محمد علي بان يوم 28 جويلية 2011، على الساعة 10 صباحا بمقر منظمة المجاهدين بقمار رفقة الاستاذ التجاني العقون.

14- محمد علي بورحومة: المصدر السابق.

15- لقاء شفوي مع عربية الزهرة، يوم الاثنين 12 جويلية 2011م على الساعة 6:00 مساءا، بحومة السوافة بمنطقة الجبل الأحمر بتونس العاصمة، وهي من مواليد سنة 1951 بالجبل الاحمر، ولقد كانت من بين الفتيات الذين نشطن في الكشافة الإسلامية في الجبل الأحمر.

16- Jean pigoreau l'émigration des musulmans de l'annexe d' el-oued, 1955, D.D.M.E., p11.

17- لقاء شفوي مع الشيخ عز الدين عباسي يوم الثلاثاء 26 جويلية 2011م على الساعة العاشرة صباح بمنزله بقرية الزقم وهو من مواليد سنة 1930م،و احد الطلبة الزيتونيين وله مؤلفات في المجال الديني وبرنامج اذاعي.

18- لقاء شفوي مع الطاهر بن عيشة، يوم السبت 30 جويلية 2011م، على الساعة 10 صباحا، في مقر سكنه بالدويرة الجزائر العاصمة.

19- علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن19م،رسالة ماجستير، تحت إشراف عمر بن خروف، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر،2002م ، ص 291.

20- عثمان زقب: **الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف**، المرجع السابق، ص .203

21- . علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص .291

22- Jean pigoreau: op,cit, p 17.

23- علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص .291

24- Marty: op,cit, p316.

25- تطلق هاته اللفظة على جميع عمال الميناء، والبور هي ترجمة للكلمة الفرنسية port والتي تعني الميناء.

26- لقاء شفوي مع احمد بن الطاهر منصوري: المصدر السابق.

27- لقاء شفوي مع بوبكر بن عمارة يوم السبت 9 جويلية 2011 على الساعة 6 مساءا بمحله الكائن بديبوزفيل بتونس العاصمة، وهو من مواليد 1941م، وكان مناضل بجبهة التحرير الوطني بتونس.

28- لقاء شفوي مع محمد بن مبارك غرنوق، يوم 2 افريل 2010م على الساعة الخامسة مساءا بمنزله بقمار.

29- لقاء شفوي مع مرغني العيد: المصدر السابق.

30- علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف**، المرجع السابق، ص .291

31- سمير عوادي: الحاج البشير نموذج من التواغزيت اللاجئين بتونس، مخطوط. لدي نسخة منه ، ص.2

32- لقاء شفوي مع الشيخ عز الدين عباسي، يوم الثلاثاء 26 جويلية 2011م، على الساعة العاشرة صباح بمنزله بقرية الزقم.

33- لقاء شفوي مع احمد عمير يوم السبت 9 جويلية 2011م على الساعة 8:40 مساءا بمسكنه الكائن بجبل جلود بتونس العاصمة وهو من مواليد 1959م.

34- Marty: op, cit, p 316.

35- Jean pigoreau: op, cit, p 17.

36- لقاء شفوي مع احمد بن الطاهر منصوري: المصدر السابق.

37- لقاء مع عبد الله مناعي، يوم 11 مارس 2012، على الساعة 5 مساءا ببيته بمدينة الوادي.

38- لقاء شفوي مع شهوبة عائشة اجراه معها الطالبتين مهدي سعاد ولمقدم سميرة، ببيتها الكائد بقرية الجديدة بالدبيلة يوم الخميس 24 نوفمبر 2011م على الساعة العاشرة صباحا.

39- لقاء شفوي مع محمد كيلاني بن موسى، يوم الاثنين 12 جويلية 2011م، على الساعة 6:00 مساءا، بمنطقة الجبل الأحمر بتونس العاصمة، وهو من مواليد سنة 1935م بالكاف ويعود أصله إلى ولاية برج بوعريريج، وقدم إلى منطقة الجبل الأحمر سنة 1947م حيث كان من أول الذين سكنوا بالجبل الأحمر.

40- لقاء شفوي مع عبد الله مناعي: المصدر السابق.

41- علي غنابزية: **مجمتع وادي سوف**، المرجع السابق، ص ص 291.292

42- عبد الله مناعي: المصدر السابق.

43- Jean pigoreau: op ,cit, p 11.

44- بلوزاع براهمة: كتابات الجزائريين في الصحافة التونسية 1947.1962، رسالة التعمق في البحث في التاريخ المعاصر، اشراف الدكتور: عبد الجليل التميمي، جامعة تونس الاولى، الموسم الجامعي: 1998.1999،ص 40.

45- لقاء شفوي مع صالح بن عمر اجراه معه الطالبتان سميرة لمقدم وسعاد مهدي يوم 13 ديسمبر 2011م على الساعة 9 صباحا بمنزله بالوادي وهو من مواليد 1930م واحد الطلبة الزيتونيين، و احد المناضلين بجبهة التحرير.

46- A.N.T: S: A, C:509, DOC: 252, DOS:5.

47- لقاء شفوي مع صالح بن عمر، اجراه معه الطالبتان سميرة لمقدم وسعاد مهدي، يوم 13 ديسمبر 2011م، على الساعة 9 صباحا بمنزله بالوادي.

48- A.N.T: S: A, C:509, DOC: 252, DOS:3.

49- محمد علي بان: المصدر السابق.

50- الطاهر تليلي: **هذه حياتي**، ص .16

51- لقاء شفوي مع علي حامدي اجراه معه الطالبتان سعاد مهدي وسميرة لمقدم يوم ، لمنزله الكائن بالدبيلة ، وهو من مواليد سنة 1936م، واحد الطلبة الزيتونيين.

52- PLAN DE TUNIS, IMAGE CONSEIL COMMUNICATION, 2007.

53- لقاء شفوي مع ميه معمر، يوم الأحد 11 جويلية 2011م على الساعة 7:40 مساءا بفندق النصر باب منارة العاصمة التونسية، وهو من مواليد سنة 1953 بالجبل الأحمر ويعمل الآن سائق سيارة أجرة بين تونس ووادي سوف.

54- ميه معمر، المصدر السابق.

55- لقاء شفوي مع محمد كيلاني بن موسى، يوم الاثنين 12 جويلية 2011م، على الساعة 6:00 مساءا، بمنطقة الجبل الأحمر بتونس العاصمة، وهو من مواليد سنة 1935م بالكاف ويعود أصله إلى ولاية برج بوعريريج، وقدم إلى منطقة الجبل الأحمر سنة 1947م حيث كان من أول الذين سكنوا بالجبل الأحمر.

56- لقاء شفوي مع التجاني الرجيل، يوم السبت 23 جويلية 2011م على الساعة 7:30 بقمار، وهو من مواليد سنة 1948م ،وهو من سكان جبل الأحمر وشارك في الكشافة الإسلامية هناك وهو الآن عامل بقطاع التربية بولاية الوادي ويسكن بقمار.

57- محمد كيلاني، المصدر السابق.

58- لقاء شفوي مع عربية الزهرة، يوم الاثنين 12 جويلية 2011م على الساعة 6:00 مساءا، بحومة السوافة بمنطقة الجبل الأحمر بتونس العاصمة، وهي من مواليد سنة 1951 بالجبل الاحمر، ولقد كانت من بين الفتيات الذين نشطن في الكشافة الإسلامية في الجبل الأحمر.

59- لقاء شفوي مع محمد علي بان يوم الاحد 24 جويلية 2011م على الساعة 9:30 صباحا بمقر قسمة المجاهدين بقمار، وهو من مواليد 1930م وهو من الطلبة الزيتونيين ومن المجاهدين والمجندين من طرف جبهة التحرير من تونس، وهو الآن رئيس قسمة المجاهدين بقمار.

60- محمد كيلاني، المصدر السابق.

61- سمي بهذا الاسم نسبة الكلمة الأجنبية combattant أي المقاتل وكان الحي في أول الأمر يسكن به الجنود الفرنسيين، لقاء شفوي مع كواتي محرز، يوم الاثنين 12 جويلية 2011م، وهو من مواليد سنة 1948م، بالجبل الأحمر بتونس.

62- لقاء شفوي مع الأستاذ مسعود كواتي، يوم الثلاثاء 19 جويلية 2011م على الساعة 7:30 بقمار، وهو من مواليد سنة 1945م و نشا بالجبل الأحمر وكان عضو في الكشافة الإسلامية بالجبل الأحمر وهو الآن أستاذ مختص بالتاريخ الوسيط بالمركز الجامعي بغرداية.

63- لقاء شفوي مع التجاني الرجيل، يوم الثلاثاء 19 جويلية 2011م على الساعة 7:30 بقمار.

64- لقاء شفوي مع احمد الشماع المعروف بالكافي نسبة إلى منطقة الكاف، يوم الاثنين 19 جويلية 2011م، على الساعة 8:00 مساءا بحومة السوافة بالجبل الأحمر، وهو من مواليد سنة 1927 م بالكاف بتونس وهو من أوائل السكان بالجبل الأحمر.

65- وثيقة توضح نوعية العمل للعديد من المهاجرين السوافة بمنطقة القاطنين بمنطقة الجبل الاحمر، سلمت لي من طرف عوادي عمار.

66- لقاء شفوي مع الزهرة عربية: المصدر السابق.

67- لقاء شفوي مع عبد الله مناعي: المصدر السابق.

68- لقاء شفوي مع عبد الله مناعي: المصدر السابق.

69- الزهرة عربية: المصدر السابق.

70- لقاء شفوي مع التجاني رجيل: المصدر السابق.

71- لقاء شفوي مع محمد علي بورحومة: المصدر السابق.

72- . وثيقة توضح المساعدة العينية من طرف جبه التحرير للفقراء بمنطقة الجبل الاحمر، سلمت لي من طرف عوادي عمار.